في صحيحه ما بين صنعا الى بصرى حديث ابي امامة عند الطبراني ما بين عدن وعمان قال ابن الاثير في النهاية في
حديث الحوض عرضه من مقامي الى عمان هي بفتح العين وتشديد الميم مدينة بالشام من ارض البلقا فاما بالضم والتخفيف فهو
صقع عند البحرين انتهى وهذه المسافة كلها متقاربة وظن بعضهم انه وقع اضطراب في ذلك وليس كذلك واجاب النووي عن ذلك
بانه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالاكثر ثابت في الحديث الصحيح فلا معارضة وحاصله انه يشير
الى انه اخبر اولا بالمسافة اليسيرة ثم اعلم بالمسافة الطويلة فاخبر بها كان الله تفضل عليه باتساعه شيئا بعد شيء
فيكون الاعتماد على ما يدل على اطولها مسافة فان قلت هل لكل نبي من الانبيا غير نبينا صلى الله عليه وسلم حوض هناك يقوم
عليه كنبينا فالجواب انه اشتهر اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بالحوض قال القرطبي في المفهم مما يجب على كل مكلف ان
يعلمه ويصدق به ان الله تعالى قد خص نبيه صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الاحاديث
الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي اذ روى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من الصحابة نيف على الثلاثين
منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهما بقيه ذلك كما صح نقله واشتهرت رواته ثم رواه عن الصحابة
المذكورين من التابعين امثالهم ومن بعدهم اضعاف اضعافهم وهلم جرا واجمع على اثباته السلف واهل السنة
من الخلف انتهى لكن اخرج الترمذي من حديث سمرة رفعه ان لكل نبي حوضا واشار الى انه اختلف في وصله وارساله وان المرسل
اصح والمرسل اخرجه ابن ابي الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وهو قائم على حوضه
بيده عصا يدعو من عرف من امته الا وانهم يتباهون ايهم اكثر تبعا واني لارجو ان اكون اكثرهم تبعا واخرجه الطبراني من وجه
اخر عن سمرة موصولا مرفوعا مثله وفي سنده لين واخرج ابن ابي الدنيا ايضا من حديث ابي سعيد رفعه وكل نبي يدعو امته
ولكل نبي حوض فمنهم من ياتيه الفيام ومنهم من ياتيه العصبة ومنهم من ياتيه الاثنان ومنهم من لا ياتيه احد واني
لاكثر الانبيا تبعا يوم القيامة وفي اسناده لين فان ثبت فالمختص بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر الذي يصب من
مايه في حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتنان عليه في سورة انا اعطيناك الكوثر انتهى ملخصا من فتح الباري
والفيام كما في الصحيح الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه والعامة تقول فيام بلا همزة وفي رواية مسلم من حديث ابي هريرة
رفعه ان ترد علي امتي الحوض واني اذود الناس كما يذود الرجل عن ابله قالوا يا رسول الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم
تردون علي غرا محجلين من اثار الوضوء قالوا والحكمة في الذود المذكور انه صلى الله عليه وسلم يريد ان يرشد كل احد الى حوض نبيه
كما تقدم ان لكل نبي حوضا فيكون هذا من جملة انصافه عليه الصلاة والسلام ورعاية اخوانه من النبيين لا انه يطردهم
بخلا عليهم بالما ويحتمل ان يكون يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض والله اعلم وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال الحوض
اربعة اركان الاول بيد ابي بكر الصديق والثاني بيد عمر بن الخطاب الفاروق والثالث بيد عثمان ذي النورين والرابع
بيد علي بن ابي طالب فمن كان محبا لابي بكر مبغضا لعمر لا يسقيه ابو بكر ومن كان محبا لعلي مبغضا لعثمان لا يسقيه علي
رواه ابو سعيد في شرف النبوة والغيلاني واما تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام المحمود فقد قال الله تعالى عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا واتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله واجب قال اهل المعاني لان لفظة عسى تفيد الاطماع
ومن اطمع انسانا في شيء ثم حرمه كان عارا والله تعالى اكرم من ان يطمع احدا في شيء ثم لا يعطيه ذلك وقد اختلف في تفسير
المقام المحمود على اقوال احدها انه الشفاعة قال الواحدي اجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة كما قال صلى الله عليه وسلم في هذه
الاية هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وقال الامام ابن الخطيب اللفظ مشعر بذلك لان الانسان انما يصير محمودا اذا
حمده حامد والحمد انما يكون على الانعام فهذا المقام المحمود يجب ان يكون مقاما انعم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم

حمده

يحمدونه على ذلك الانعام وذلك الانعام لا يجوز ان يكون هو تبليغ الدين وتعليمهم الشرع لان ذلك كان حاصلا في الحال
وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يدل على انه يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل ومن المعلوم
ان حمد الانسان على سعيه في التخليص عن العقاب اعظم من سعيه في زيادة من الثواب ولا حاجة اليها لان احتياج الانسان
في دفع الالام العظيمة عن النفس فوق احتياجه الى تحصيل المنافع الزايدة التي لا حاجة الى تحصيلها واذا ثبت هذا وجب
ان يكون المراد من قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا هو الشفاعة في اسقاط العقاب على ما هو مذهب اهل السنة
ولما ثبت ان لفظ الاية مشعر بهذا المعنى اشعارا قويا ثم وردت الاخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى كما في البخاري من
حديث ابن عمر قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود قال هو الشفاعة وفيه ايضا عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى فذلك
المقام المحمود فاذا ثبت هذا فيجب حمل اللفظ عليه قال ومما يوكد هذا الدعا المشهور وابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون
والاخرون ونصب قوله مقاما على الظرفية اي وابعثه يوم القيامة فاقمه مقاما محمودا او على انه مفعول به وضمن معنى
ابعثه معنى اقمه ويجوز ان يكون حالا بعد حال اي ابعثه ذا مقام قال الطيبي وانما نكره لانه افخم واجزل اي مقاما محمودا
بكل لسان وقول النووي ان الرواية ثبتت بالتنكير وانه كان حكاية للفظ القران متعقب بانه جاء في هذه الرواية
بعينها بالتعريف عند النسائي قال ابن الجوزي الاكثر على ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة وادعى الامام فخر الدين الاتفاق عليه
القول الثاني قال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك ولا ملجا منك الا اليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا هو المراد من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا رواه الطبراني وقال
ابن منده حديث مجمع على صحة اسناده وثقة رجاله قال الرازي والقول الاول اولى لان سعيه في الشفاعة يفيد اقدام الناس
على حمده فيصير محمودا واما ما ذكر من الدعا فلا يفيد الا الثواب اما الحمد فلا فان قيل لم لا يجوز ان يقال انه تعالى يحمده
على هذا القول فالجواب لان الحمد في اللغة مختص بالثنا المذكور في مقابلة الانعام فقط فان ورد لفظ الحمد في غير هذا
المعنى فسبيل المجاز القول الثالث مقام تحمد عاقبته قال الامام فخر الدين وهذا ايضا ضعيف للوجه الذي ذكرناه
القول الرابع قيل هو اجلاسه عليه الصلاة والسلام على العرش وقيل على الكرسي روي عن ابن مسعود انه قال يقعد الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم على العرش وعن مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش قال الواحدي وهذا قول رذل موحش فظيع ونص
الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير ويدل عليه وجوه الاول ان البعث ضد الاجلاس يقال بعثت البارك والقاعد
فانبعث ويقال بعث الله الميت اي اقامه من قبره فتفسير البعث بالاجلاس تفسير الضد بالضد وهو فاسد
والثاني يوجب انه تعالى لو كان جالسا على العرش بحيث يجلس عنده محمد صلى الله عليه وسلم لكان محدودا متناهيا ومن كان كذلك
فهو محدث تعالى الله علوا كبيرا والثالث انه تعالى قال مقاما محمودا ولم يقل مقعدا والمقام موضع القيام لا موضع القعود
والرابع اذا قيل ان السلطان بعث فلانا فهم منه انه ارسله الى قوم لاصلاح مهماتهم ولا يفهم منه انه اجلسه مع نفسه
فثبت ان هذا القول ساقط لا يميل اليه الا قليل العقل عديم الدين انتهى وتعقب القول الثاني بانه تعالى يجلس على
العرش كما اخبر جل وعلا عن نفسه المقدسة بلا كيف وليس اقعاد محمد صلى الله عليه وسلم على العرش موجبا له صفة الربوبية
او مخرجا له عن صفة العبودية بل هو رفع لمحله وتشريف له على خلقه واما قوله معه فهو بمنزلة قوله تعالى ان الذين عند
ربك ورب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكل هذا ونحوه عائد على المرتبة والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة لا الى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)